Şarkiyat İLMİ ARAŞTIRMALAR DERGİSİ
JOURNAL OF ORIENTAL SCIENTIFIC RESEARCH (JOSR)
**Cilt/Volume:** 16, **Sayı/Issue:** 02 (Aralık / December 2024)

# أزمة الأمة الإسلامية ضياع الحكمة

**Mehmet Halil ÇİÇEK**
Ankara Yıldırım Beyazıt Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü
mehmedhalilcicek@yahoo.com
ORCID ID: 0000-0002-0682-6706

Article Types / Makale Türü: Research Article / Araştırma Makalesi
Received / Makale Geliş Tarihi: 31/10/2024, Accepted / Kabul Tarihi: 11/12/2024
DOI: 10.26791/sarkiat.1577042

**الملخص:**

إن أبـرز الملامـح التـي تتسـم بهـا الأمـة المحمديـة مـن بيـن الأمـم الأخـرى هـو الحكمـة التـي آتـت للأمـة خيرهـا وبرهـا ورشـدها ورشـادها كمـا قـال تعالـى: **{ومـن يـؤت الحكمـة فقـد أوتـي خيـرا كثيـرا ومـا يذكـر إلا أولـو الألبـاب}**. وتجـاه ذلـك الماضـي المجيـد الـذي سـببته الحكمـة فـي سياسـة الأمـة وإدارتهـا نـرى أن الأمـة الإسلاميـة تعيـش فـي يومنـا هـذا مـآت الأزمـات الحـادة المصيريـة علـى شـتى المسـويات بحيـث كادت تلـك الأزمـات تمسـخ هويـة الأمـة بجميـع عناصرهـا لـولا كتابهـا وسـنتها وتراثهـا المعرفـي. ولا ريـب أن أكثـر تلـك الأزمـات عمقـا وأكبرهـا تأثيـرا علـى حاضـر الأمـة ومسـتقبلها هـو أن الأمـة أضاعـت الحكمـة منـذ قـرون. إن لـكل أمـة مصـدرا أو مصـادر تسـتقي منهـا حكمتهـا. فمـثلا إن مصـدر الحكمـة عنـد البوذييـن هـو تعاليـم بـوذا، ومصـدر الحكمـة عنـد المجـوس هوتعاليـم زرادشـت، ومصـدر الحكمـة عنـد منتحلـي الكنفوجيوسـية هـو تعاليـم كونفوجيـوس، ومصـدر الحكمـة عنـد اليهـود التـوراة والتلمـود ومشـينا، وعنـد النصـارى الإنجيـل. وأمـا مصـادر الحكمـة عنـد الأمـة الإسلاميـة فهـي مصـادر ثـرة تفـوق جميـع المصـادر الأخـرى فـي مسـتواها الإنسـاني وهـي القـرآن والسـنة وتراثهـا المعرفـي النابـع مـن الكتـاب والسـنة. فأمـة الإسلام كانـت قويـة وأبيـة حينمـا كانـت تسـتقي مقومـات حياتهـا مـن كتابهـا الحكيـم وسـنة نبيهـا الكريـم. فبعـد مـا أخـذت تديـر ظهرهـا لمصادرهـا وولـت وجههـا شـطر مصـادر الغـرب أضاعـت حكمتهـا القرآنيـة والنبويـة فضاعـت منهـا جميـع خصائصهـا الجوهريـة التـي تميزهـا عمـا عداهـا وتلفـت جميـع مقوماتهـا الذاتيـة، وصـارت بالرغـم مـن جسـمها الطويـل وتراثهـا الجليـل كولـد دعـي لا أب لـه ولا أم كولـد متسـول يتسـول علـى أبـواب الغـرب لأخـذ صبابـة مـن حكمتهـا المتعفنـة المتأفنـة -إن صحـت تسـميتها حكمـة-

**الكلمات الأساسية في البحث: الإسلام، الحكمة، المسلمون، ضياع، الأزمات، الأمة، السياسة.**

# İslam Ümmetinin Krizi: Hikmetin Kaybı

## Öz

Muhammedî milletin diğer milletlerden ayıran en önemli ve belirgin özelliği, ona hayır, bereket, olgunluk ve rehberlik sağlayan hikmettir. O hikmetin, milletin yönetiminde, işleyişinde ve düzenlemelerinde yarattığı şanlı geçmişin ışığında, bugün İslam ümmetinin bireysel ve toplumsal düzeylerde yüzlerce kritik krizle karşı karşıya olduğunu görmekteyiz. Bu krizler, ümmetin kimliğini tüm unsurlarıyla sarsacak boyutlara ulaşmış durumda; eğer ki bu süreçte kitabı, sünneti ve büyük bilgi mirası olmasaydı. Şüphesiz ki, bu krizlerin en derini ve milletin bugünü ile geleceği üzerindeki en büyük etkisi, ümmetin üç yüzyıldan fazla bir süredir hikmetini kaybetmiş olmasıdır. Her milletin, hikmetini çıkardığı ve insani, ahlaki ve sosyal yaşamının unsurlarını oluşturduğu kaynakları vardır. Örneğin, Budistlerin hikmet kaynağı Buddha'nın öğretileridir; Zerdüştçüler için Zerdüşt'ün öğretileri, Konfüçyüsçüler için Konfüçyüs'ün öğretileri, Yahudiler için Tevrat, Talmud ve Mişna, Hristiyanlar için İncil'dir. İslam ümmetinin hikmet kaynakları ise, insanlık, değer ve ahlak düzeyinde diğer tüm kaynaklardan daha zengin ve çeşitlidir: Kur'an, sünnet ve bu iki kaynaktan beslenen geniş bilgi mirasıdır. İslam milleti, hikmetli kitabından ve hikmetli peygamberinin sünnetinden, geçmişten gelen şanlı mirasından beslenirken güçlü, zengin, onurlu ve hür bir millet olmuştur. Ancak, kaynaklarına sırtını dönüp, batının maddi ve adaletsiz kaynaklarına yönelmeye başladıktan sonra, Kur'anî ve nebevî hikmetini kaybetmiş; bu kayıpla birlikte kendine özgü tüm temel özelliklerini de yitirmiştir. Bugün uzun geçmişine, köklü mirasına ve büyük yapısına rağmen, köksüz bir çocuk gibi, ne babası ne annesi, ne soyu ne sopu olan bir dilenci gibi batının kapılarında, çürümüş ve içi boş bir hikmet parçası için dilenen bir hâle gelmiştir – eğer buna hikmet denilebilirse.

**Anahtar Kelimeler:** İslam, Ümmet, Kriz, İlerleme, Siyaset

# The Crisis of The Islamic Nation: The Loss of Wisdom

## Abstract

The defining characteristic of the Muhammadan nation is wisdom, which brings prosperity, maturity, and guidance. Historically, this wisdom shaped its governance and social structure, enabling the Ummah to achieve strength, honor, and independence. However, today, the Islamic Ummah faces numerous crises at both individual and societal levels, threatening its identity in all dimensions. These crises are rooted in a profound loss: the wisdom that once defined the Ummah has been absent for over three centuries.

Nations derive their wisdom and values from specific sources. For Buddhists, it is the teachings of Buddha; for Zoroastrians, Zoroaster; for Christians, the Bible. The Islamic Ummah, however, has richer and more diverse sources of wisdom: the Qur'an, the Sunnah, and the vast intellectual heritage they inspired. When the Ummah adhered to these sources, it flourished. But by turning away from them and relying on the materialistic and unjust frameworks of the West, it lost its Qur'anic and Prophetic wisdom, along with its distinct identity.

Now, despite its rich heritage and historical depth, the Ummah stands like a rootless entity, begging at the doors of others for remnants of wisdom that pale in comparison to its own neglected treasures. The revival of the Ummah depends on reconnecting with its true sources of wisdom—those that once made it a guiding light for humanity.

**Keywords:** Islam, Ummah, Crisis, Wisdom, Politics

**تمهيد:**

إن الحكمة من أهم المفاهيم العالية العالمية التي استطاعت أن تتعدى بحيويتها وثروتها المفاهيمية الواسعة حدود الزمان والمكان وحدود الجنس واللغة. فكل شعب من شعوب العالم لها توجه خاص إلى الحكمة حسب إمكانياتها الثقافية والتفكيرية والعلمية والمعرفية، وحسب سعتها وثروتها الأخلاقية والروحية والقيمية، وحسسب نظرتها الكونية والدينية. فأي قوم وأي شعب كانت صلتها بهذه الميادين واهتمامها بهذه المجالات أكثر وأوسع كانت صلتها وارتباطها بالحكمة أيضا أكثر وأوسع. ومن هنا نرى أن الحكمة احتلت ميدانا واسعا أكثر ما يكون في الثقافة الغربية بعد ما ازدادت إمكانياتها العلمية والتفكيرية، وبعد ما تعمقت رؤيتها الفلسفية، وصار للغرب مع الحكمة ومثيلاتها ومشتقاتها شأن آخر بعد ما اتسعت نظرتها الكونية والعالمية

إن لكل أمة مصدرا أو مصادر تستقي منها حكمتها وتستفيد منها مقومات حياتها الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية والفردية. فمثلا إن مصدر الحكمة عند البوذيين هو تعاليم بوذا، ومصدر الحكمة عند المجوس هوتعاليم زرادشت، ومصدر الحكمة عند منتحلي الكنفوجيوسية هو تعاليم كونفوجيوس، ومصدر الحكمة عند اليهود التوراة والتلمود ومشينا، وعند النصارى الإنجيل. وأما مصادر الحكمة عند المسلمين فهي مصادر ثرة تفوق جميع المصادر الأخرى في مستواها الإنساني والقيمي والأخلاقي وهي القرآن والسنة وتراثها المعرفي النابع من الكتاب والسنة الذي تضخم إلى أوسع حد مع مرور الزمن ومع نشأة المآت من فطاحل العلماء الناهلين من معين الكتاب والسنة كمولانا جلال الدين الرومي ومحي الدين ابن عربي وأبي حامد الغزالي وملا صدرا وغيرهم من الكثير

أما صلة العالم الإسلامي بالحكمة فابتدأت في وقت مبكر من التاريخ وأخذت صلة المسلمين بالحكمة تقوى وتزداد يوما فيوما من تلك الفترة المبكرة بينما كان العالم بشرقه وغربه وجنوبه وشماله وأدناه وأقصاه يعيش في ظلام دامس ويئن تحت عبء ثقيل ويرزح تحت حمل باهظ من جهل خانق وتعصب مقيت. ولتوسع المسلمين في ذالك الوقت المبكر في جميع ماهو نافع وصالح من متعدد مجالات الحياة العلمية والمعرفية والروحية والفكرية والفلسفية والأخلاقية والتشريعية والصناعية وغيرها كانت حياتهم عبارة عن حكمة عملية واقعية محضة تظهر آثارها ملموسة محسوسة في مختلف مجاري الحياة، وفي جميع ملابساتها ومناسباتها وعلاقاتها وصلاتها المكونة لطيب العيش والرافعة لمستواها الإنساني. فكانت الحكمة سائدة على جميع مظاهر حياتهم العلمية والعملية والسياسية والإدارية والاقتصادية وسائر الملابسات والمناسبات والعلاقات الاجتماعية؛ حتى كنت ترى المظاهر الحكمية الرائعة على مواقف الكثير من أفراد الناس الذين لا صلة لهم ظاهرا بالعلم والمعرفة؛ ولكن لاستقائهم من منابع الكتاب والسنة كانت حركاتهم الفردية وأعمالهم الشخصية وآرائهم الفكرية ومواقفهم الإنسانية متقولبة في قوالب الحكمة والرحمة بدون مبالغة ولا مجازفة. وأكبر شاهد على ذلك كتب الطبقات والتراجم والمواعظ والنصائح وغيرها من أمثال كتاب نهج البلاغة والحكم العطائية، وإحياء علوم الدين وغيرها

ومن أهم مظاهر الحكمة الحكيمة العميقة في هذه الحياة الرفيعة في تلك الأقوام المسلمة في تلك الفترة أن العقلية الإسلامية السائدة على جميع قطاعات المجتمعات الإسلامية كانت عقلية مكتملة ناضجة نابضة بكل الخيور والبركات إلى درجة أن فرضت تلك العقلية المباركة النابعة من صميم الكتاب والسنة على جميع المسلمين وحدانا وزرافات احترام الإنسانية ورعاية حقوقها ونشر الفضيلة والكرامة والتعاون والتضامن والتساند بين جميع الأقوام المسلمة والسعي للتخفيف من هموم الآخرين. فكان شعار حياتهم هو رعاية حقوق الآخرين وبث الفضيلة ومكارم الأخلاق بين الناس والتزام العدل والتجنب عن الظلم والجور بجميع أطيافه وكافة أشكاله. كما أن من أبرز مظاهر الحكمة في تلك الفترة الحكيمة السعي الدؤوب والعمل الحثيث لتكوين حضارة إنسانية كريمة مفعمة بمعاني الخير والبر والهدى على قواعد مشيدة وأصول محكمة من العلم والمعرفة والحكمة. فكانوا يهرعون إلى بلاد العلم والمعرفة من كل صوب وحدب، ويجوبون المهامه الشاسعة والبراري المهلكة في كل ناحية وإقليم مهما بدت المخاطر وظهرت المهالك، ويقصدون مراكز العلم والحكمة من كل فج عميق. فكانوا خير قدوة وأحسن أسوة لجميع أجيال العلم والمعرفة. فكانت الانطلاقة الكبرى منهم انطلاقة لجميع الإنسانية نحو النهل من معين العلم والمعرفة

ولهذه الحكمة العملية مظاهر مختلفة في جميع مجاري الحياة؛ وخصيصا في الحياة العلمية والمعرفية والتفكيرية، والحياة الأخلاقية وسائر مظاهر الحياة العملية؛ فكانت مظاهر الحكمة أبرز وأقوى وأكثر انتشارا. فيا ترى! هل كان من الصدفة أن المسلمين كانوا يؤلفون في جميع شعب الحياة العلمية والعملية والفكرية والأخلاقية آثارا قيمة انبهرت منها العقول والقلوب. خذ من كتاب العين للخليل (ت ١٧٠)، والبخلاء والحيوان للجاحظ (ت ٢٥٥)، والمعارف لابن قتيبة (ت ٢٧٠)، إلى مثل الفهرست لابن النديم (ت ٤٣٨)، ومعجم البلدان للحموي (ت ٦٢٦)، وتثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥)، وذكر النسوة المتعبدات الصوفيات لمحمد بن حسين أبي عبد الرحمن الأزدي (ت ٤١٢)، والأذكياء لابن الجوزي (ت ٥٩٧)

ويقول الكوثري تنويها بما أجاده العلماء المسلمون وما أبدعوه في مختلف المجالات العلمية من المؤلفات الحافلة: «فكتاب المختزن فى تفسِير القرآن الكريم للإمام أبى الحسن الأشعري أقل ما قيل فيه أنه فى سبعين مجلدا كما يقوله المقريزى، ويقول أبو بكر بن العربِي انه فى خمسمائة مجلد- وهذا مما يختلف باختلاف الحجم والخط- وتفسير أنوار الفجر لأبى بكر ابن العربي فى ثمانِين ألف ورقة، فلا يقل عن ثمانين مجلدا ضخما، وتفسير الحافظ أبى حفص بن شاهين فى ألف جزء حديثى، وتفسير حدائق ذات بهجة لأبى يوسف عبد السلام القزويني الحنفي وأقل ما قيل فيه أنه فى ثلاثمائة مجلد، وكان مؤَلفه وقف النسخة الوحيدة من هذا التأليف العظيم لمسجد أَبى حنيفة ببغداد فَضَاعَت عِنْد اسْتِيلَاء هلاكو. وَيَقُول الْأُسْتَاذ البحاثة السَّيِّد عبد الْعَزِيز الميمنى الْهِنديّ أَنه رأى جُزْءا مِنْهُ فى إحدى فهارس الخزانات، وَتَفْسِير أَبى على الجبائي، وَتَفْسِير القَاضِي عبد الْجَبَّار، وَتَفْسِير ابْن النَّقِيب الْمَقْدِسِي، وَتَفْسِير مُحَمَّد الزَّاهِد البُخَارِيّ كل وَاحِد مِنْهَا فى مائَة مُجَلد- والأخيران حنفيان- وَتَفْسِير «فتح المنان» للقطب الشِّيرَازِيّ الشَّافِعِي فى سِتِّينَ مجلدا وَهُوَ مَحْفُوظ فى خزانتى على باشا الْحَكِيم وَمُحَمّد أسعد.[1] فأمثال هذه الآثار الضخمة المؤلفة في تلك المجالات الدقيقة في ذلك الوقت المبكر إن دلت على شيء فإنما تدل على مواقف المسلمين العلمية الحكيمة من جميع شعب الحياة وعلى اتساع آفاقهم العلمية والمعرفية التي لا ينالها الوهم والخيال حتى في عصرنا هذا الزاخر بآلاف فروع العلم والمعرفة. فكان المسلمون بنظراتهم الحكيمة يستوعبون جميع مجاري الحياة وموضوعاتها ويخصصون لها مؤلفات خاصة. يحاولون أن يحيطوا فيها بأهم المعلومات عن الموضوع. وكان لهذا الموقف الحكيم انعكاس آخر حيث جعلوا يؤسسون في تلك الفترة المبكرة من التاريخ مراكز نشيطة للحكمة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي وكانت تلك المراكز محلات نشيطة لتعليم العلوم وكتابة المؤلفات العلمية

١ محمد زاهد الكوثري، مقدمة أحكام القرآن للشافعي جمع البيهقي، (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤١٤\١٩٩٤)، ١٣.

اللازمة واستنساخها وترجمة ما ينبغي ترجمته من تراث الشرق الأقصى وتراث الغرب وخصيصا تراث الإغريقين. فمن أولى مراكز الحكمة هذه ما أسس في زمن الخليفة العباسي المنصور (٧٥٤-٧٧٥) باسم «خزانة الحكمة» ثم مع تقدم الزمن تطورت هذه المؤسسة الميمونة واتسع مجال نشاطها وعملها فصارت أكاديمية علمية عالمية بالمصطلح الحديث فتأسست من جديد في زمن المأمون (١٩٨\٨١٣-٢١٨\٨٣٣) باسم «بيت الحكمة» واستمرت في نشاطاتها أكثر من خمسمائة عام إلى أن دمرت على أيدي التاتار الظالمين الغاشمين عام ٦٥٦\١٢٥٨. ومن الجهة الأخرى أسس زيادة الله الثالث (٢٩٠\٩٠٣-٢٩٦\٩٠٩) في المغرب العربي بتونس بمدينة القيروان أيضا مركزا علميا يضاهي ما أسسه المأمون في بغداد باسم بيت الحكمة أيضا[٢]. فجميع هذا التكتل العام على الحكمة كان ينبثق من شدة صلة المسلمين بالحكمة علميا وعمليا وتفكيريا وأخلاقيا لأن القرآن الحكيم يعتني بالحكمة اعتناء فائقا يوجه أنظار أهل البصيرة والفراسة إليها

وهذه المقالة العجلى ستتكون من قسمين سنتناول في القسم الأول موقف الإسلام من الحكمة وفي القسم الثاني ضياع الحكمة عند المسلمين في مختلف مجالات الحياة

**القسم الأول الحكمة عند المسلمين الأوائل**

**١- الحكمة في المنظور القرآني**

إن هناك مظاهرعديدة تدل على أبعاد الاعتناء القرآني بالحكمة. فمنها تكرارها في القرآن سبع عشرة مرة بلفظ «الحكمة» هذا عدا ما ذكرت بلفظ «الحكم» وعدا مشتقاتها كالحكيم، ومنها عد تعليمها في أربع آي من الذكر الحكيم بين أهم وظائف النبوة.[٣] وكفاها شرفا. ومنها الامتنان على بعض الأنبياء كسيدنا عيسى عليه السلام خاصة بتعليم الحكمة، ومنها الامتنان بتعليم الحكمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة[٤] ، ومنها ذلك التنويه العظيم بشأن الحكمة في مثل قوله تعالى: **{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...}**[٥] ومنها الامتنان بتعليم الحكمة لجميع المؤمنين. فكل هذه التنويهات القرآنية القوية المتعددة تدل على أهمية الحكمة في المنظور القرآني. ومن جراء ذلك كان اهتمام الرعيل الأول من المسلمين بالحكمة كثيرا وكان اعتنائهم به علما وعملا فوق الحسبان

**٢- الحكمة العملية في واقع حياة المسلمين الأوائل**

إن من أهم مقاصد القرآن - كما قاله محمد إقبال - هو تكوين وعي رفيع في روح الإنسان في مجال علاقاته المتنوعة مع الله ومع العالم. ومن جراء هذه الخصيصة للدعوة القرآنية كان الفيلسوف الألماني جوته Goethe يدرس الإسلام كقوة تربوية وتعليمية. وأيضا هذا الجانب القرآني هو الذي جعل أجكرمان Eckermann يقول: إن هذه التعاليم القرآنية لا تذهب سدى أبدا نحن لا نستطيع نحن بمنظوماتنا -ويتأتى لي أن أقول:- ولا أي إنسان آخر أن يأتي بأرقى منه أبدا.[٦] فهذه الكلمة من فيلسوف الشرق رحمه الله تدل على طرف هام من أبعاد الحكمة القرآنية وكان المسلمون الأوائل على هذا الوعي العالي الرفيع من الحكمة القرآنية وكان لهم من جراء هذا اعتناء بالغ بالحكمة القرآنية. وهذا الاعتناء بحكمة القرآن وجَّهَ الجامعةَ الإسلاميةَ إلى موقفين اثنين من الحكمة موقف نظري وموقف تطبيقي

أما من الناحية النظرية فيظهر موقف المسلمين النظري من الحكمة من اعتنائهم البالغ بشرح الحكمة مدلولا ومفهوما ومضمونا، ومن كتاباتهم الكثيرة حول مفهوم الحكمة وحول ما يدخل ضمنها من المعاني الثرية والمدلولات الكثيرة، وخصيصا ذلك الجانب العرفاني والروحي والأخلاقي من الحكمة فإنه يحوز مكانة واسعة وكما كبيرا من الكتابات في التراث الإسلامي سواء في تلك الفترة التي لم يكن للناس من سوى المسلمين فيها بصفة عامة علم ولا حس بالحكمة ومضامينها. فمثلا خصص أبو طالب المكي (ت ٣٨٦ هـ) الباب الأول من كتابه علم القلوب لماهية الحكمة وعظم قدرها والمستحق لبذل الحكمة وشرفها وتناول ذلك بإسهاب وإطناب في اثنتين وثلاثين صفحة.[٧] ثم أردفه بباب آخرهو أيضا متعلق بالحكمة إذ خصصه بالفرق بين الحكمة والعلم والحكيم والعليم، وشرح ذلك في أربع وثلاثين صفحة.[٨] وسواء فيما بعد ذلك من الأزمنة المتأخرة فكنموذج لذلك تجد الكثير من الأكاديمين المعاصرين يتناولون الحكمة بتفصيل وتطويل، ويذكرون فيما يقصد بها من المعنى وجوها كثيرة ذكر الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أن البعض من العلماء ذكر للحكمة ٢٩ وجها من المعاني.[٩] فالمساحة التي تغطيها الكتابات المتقدمة والمتأخرة حول شرح الحكمة وبيان مضمونها وما يدخل فيها مساحة واسعة شاسعة جدا

وأما من الناحية التطبيقية فكان السمة الغالبة على حياة المسلمين في كافة المجالات أن يكونوا حكماء في أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وملابساتهم ومناسباتهم وصلاتهم وعلاقاتهم. بمعنى أنهم كانوا يصيبون الحق والرشد والصدق في جميع أمورهم تلك. وخصيصا إذا ألقينا نظرة عابرة على صفحات تاريخ المسلمين العام الذي يتناول طرفا من حياة عامة المسلمين في أسفارهم ومتاجرهم ومآكلهم وتعليمهم وتربيتهم وتفكيرهم وعباداتهم وعلاقاتهم وتعلقاتهم وملابساتهم ومناسباتهم نجد أن السائد على جل شؤون المسلمين هذه هو الحكمة العملية الحرية بالتأمل والاحتذاء والاتعاظ والائتساء

ومن أبرز ما يظهر لنا مدى ملابسة المسلمين الأوائل بالحكمة في حياتهم العملية ما قطعوه من تلك الأشواط البعيدة في إنشاء المؤسسات الحضارية، وما حققوه من تكوين المقومات الحضارية، وما أبدعوه في مرافق الحياة العامة. وخصيصا بناء المكتبات والمراصد والمؤسسات العلمية التي نشرت العلم والمعرفة في أرجاء العالم على المدى القريب والبعيد. فها هو عباس محمود العقاد (ت ١٣٨٤\١٩٦٤) يقول: أعجب من زوال دولة الإسلام في الأندلس

2 Mahmut Kaya, "Hikmet",*DİA* , (İstanbul 1992), VI/88-89.

٣ انظر: البقرة: ١٢٩\٢، ١٥١، آل عمران: ١٦٤\٣، الجمعة: ٢\٦٢.

٤ انظر: المائدة: ١١٠\٥.

٥ البقرة: ٢٦٩\٢.

6 Muhammed İkbal, *İslam'da Dinî Düşünce*, (İstanbul: Biryay. trz.), 25

٧ مكي أبو طالب محمد بن علي بن عطية، علم القلوب، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، (مكتبة القاهرة، ١٣٨٤\١٩٦٤)، ١٤-٤٦

٨ المكي، ١٣٨٤، علم القلوب، ٤٦-٨٠.

٩ انظر: محمود شهاب الدين الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥\١٩٨٥), ١٣ \ ٤١.

بقاء تأثيراتها سارية إلى يومنا هذا في كل ناحية من نواحي الحضارة الأوربية...إن آثار الإسلام في الأندلس قد أحاطت بأصول كل حركة من حركات الثقافة الغربية الحديثة.[١٠] ويقول المستشرق أدوين هول Edwin Hole في كتابه «إسبانيا في ظل المسلمين» الذي كتبه نتيجة دراسة دامت خمس سنوات: إن عدد كتب مكتبة الخليفة الحكم قدر بنحو أربعمائة ألف كتاب وقد حاول الملك الفرنسي شارل الملقب بالحكيم بعد الحكم بأربعة قرون أن ينشئ مكتبته فلم يستطع أن يجمع فيها أكثر من تسعمائة كتاب ستمائة منها تبحث في اللاهوت.[١١]

وكذلك ما أنشأوه وبنوه في مرافق الحياة العامة كالمدن عامة والمستشفيات والخانات والقناطر والربط والمدارس والمكتبات والجوامع والقلاع والحصون والقصور والعيون والآبار خاصة؛ وكذلك نشر الجمعيات والأوقاف والجهات الخيرية في جميع أنحاء العالم الإسلامي على مستوى عال وعام بحيث لا يخلو جانب من جوانب الحياة إلا وقد كان لتلك الجمعيات والجهات مساس به ومد يد المعونة إليه. فجميع ما أسسوه وأنشأوه من هؤلاء الأمور شاهد صدق على أبعاد الحكمة التي كان يتحلى بها أولئك القوم. ومن جراء جميع تلك الأمور كان روح التعاون والتساند والتكافل والتضامن والتحابب سائدا فيما بينهم وكانت الأواصر الأسرية قوية في مجتمعهم إلى أقصى حد، وكانت صلة الأرحام محكمة فيما بينهم. وكذلك كان روح التواضع ولين الجانب وخفض الجناح منتشرا بينهم وتوقير الصغير للكبير ورحمة الكبير للصغير ذائعا عندهم. يقول مصطفى السباعي (ت ١٣٨٤\١٩٦٤) رحمه الله في هذا الصدد

«ومن المؤسسات الخيرية بناء الخانات والفنادق للمسافرين المنقطعين وغيرهم من ذوي الفقر، ومنها التكايا والزوايا التي ينقطع فيها من شاء لعبادة الله عز وجل، ومنها بناء بيوت خاصة للفقراء يسكنها من لا يجد ما يشتري به أو يستأجر داراً، ومنها السقايات أي تسبيل الماء في الطرقات العامة للناس جميعاً، ومنها المطاعم الشعبية التي كان يفرق فيها الطعام من خبز ولحم وحساء (شوربة) وحلوى، ولا يزال عهدنا قريباً بهذا النوع في كل من تكية السلطان سليم، وتكية الشيخ محيي الدين بدمشق، ومنها بيوت للحجاج في مكة ينزلونها حين يفدون إلى بيت الله الحرام، وقد كثرت هذه البيوت حتى عمت أرض مكة كلها، وأفتى بعض الفقهاء ببطلان إجارة بيوت مكة في أيام الحج لأنها كلها موقوفة على الحجاج، ومنها حفر الآبار في الفلوات لسقي الماشية والزروع والمسافرين، فقد كانت كثيرة جداً بين بغداد ومكة، وبين دمشق والمدينة، وبين عواصم المدن الإسلامية ومدنها وقراها، حتى قل أن يتعرض المسافرون - في تلك الأيام - لخطر العطش. ومنها أمكنة المرابطة على الثغور لمواجهة خطر الغزو الأجنبي على البلاد، فقد كانت هنالك مؤسسات خاصة بالمرابطين في سبيل الله، يجد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من سلاح وذخيرة وطعام وشراب، وكان لها أثر كبير في صد غزوات الروم أيام العباسيين، وصد غزوات الغربيين في الحروب الصليبية عن بلاد الشام ومصر.»

«ويتبع ذلك وقف الخيول والسيوف والنبال وأدوات الجهاد على المقاتلين في سبيل الله عز وجل، وقد كان لذلك أثر كبير في رواج الصناعة الحربية وقيام مصانع كبيرة لها في بلادنا، حتى كان الغربيون في الحروب الصليبية، يفدون إلى بلادنا - أيام الهدنة - ليشتروا منا السلاح، وكان العلماء يفتون بتحريم بيعه للأعداء، فانظر كيف انقلب الأمر الآن فأصبحنا عالةً على الغربيين في السلاح لا يسمحون لنا به إلا بشروط تقضي على كرامتنا واستقلالنا. «

«ومن المؤسسات الاجتماعية ما كانت وقفاً لإصلاح الطرقات والقناطر والجسور، ومنها ما كانت للمقابر يتبرع الرجل بالأرض الواسعة لتكون مقبرة عامة.»

«ومنها ما كان لشراء أكفان الموتى الفقراء وتجهيزهم ودفنهم، أما المؤسسات الخيرية لإقامة التكافل الاجتماعي، فقد كانت عجباً من العجب، فهناك مؤسسات للقطاء واليتامى ولختانهم ورعايتهم، ومؤسسات للمقعدين والعميان والعجز، يعيشون فيها موفوري الكرامة لهم كل ما يحتاجون من سكن وغذاء ولباس وتعليم أيضا»

«وهناك مؤسسات لتحسين أحوال المساجين ورفع مستوى تغذيتهم بالغذاء الواجب لصيانة صحتهم، ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن يقودهم ويخدمهم. ومؤسسات لتزويج الشباب والفتيان العزّاب ممن تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات الزواج وتقديم المهور .. فما أروع هذه العاطفة وما أحوجنا إليها اليوم!»

«ومنها مؤسسات لإمداد الأمهات بالحليب والسكر، وهي أسبق في الوجود من جمعية نقطة الحليب عندنا، مع تمخُّضها للخير الخالص لله عز وجل، وقد كان من مبرات صلاح الدين أنه جعل في أحد أبواب القلعة - الباقية حتى الآن في دمشق - ميزاباً يسيل منه الحليب، وميزاباً آخر يسيل منه الماء المذاب فيه السكر، تأتي إليه الأمهات يومين في كل أسبوع ليأخذن لأطفالهن وأولادهن ما يحتاجون إليه من الحليب والسكر.»

«وآخر ما نذكره من هذه المؤسسات، المؤسسات التي أقيمت لعلاج الحيوانات المريضة، أو لإطعامها، أو لرعايتها حين عجزها، كما هو شأن المرج الأخضر في دمشق الذي يُقام عليه الملعب البلدي الآن، فقد كان وقفاً للخيول والحيوانات العاجزة المسنة ترعى منه حتى تلاقي حتفها.»

«أما بعد، فهذه ثلاثون نوعاً من أنواع المؤسسات الخيرية التي قامت في ظل حضارتنا، فهل تجد لها مثيلاً في أمة من الأمم السابقة؟ بل هل تجد لكثير منها مثيلاً في ظل الحضارة الراهنة؟ .. اللهم إنه سبيل الخلود تفردنا به وحدنا يوم كانت الدنيا كلها في غفلة وجهل وتأخر وتظالم ..» [١٢]

ويستمر السباعي في ذكر ما أبدعه المسلمون بحكمتهم العملية في مجال المرافق العامة في الأندلس في تلك الفترة المبكرة من التاريخ فيقول:

وفي زمن عبد الرحمن الثالث (ت ٣٥٠) كانت قرطبة عاصمة الأندلس الإسلامية، مضاءة بالمصابيح ليلاً، حيث كان يمكن للمارة أن يستضيئوا بسُرجها لمسافة تصل إلى عشرة أميال (حوالي ستة عشر كيلومتراً). كانت شوارعها مبلطة، ومرافقها نظيفة، محاطة بحدائق رائعة، حتى أن الزوار كانوا يتنزهون لساعات في الحدائق قبل الوصول إليها. بلغ عدد سكانها أكثر من مليون نسمة، بينما كانت سكان أكبر مدينة في أوروبا حينئذاك لا تتجاوز خمسة وعشرين ألف نسمة. احتوت على تسعمائة حمام و٢٨٣,٠٠٠ منزل، بالإضافة إلى ثمانين ألف قصر وستمائة مسجد. كان محيط المدينة يمتد لثمانية فراسخ (حوالي ثلاثين ألف ذراع). وكان جميع السكان يومهم ذاك متعلمين، وفي حيها الشرقي كان هناك مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، وهذا

١٠ عباس محمود العقاد، الإسلام والحضارة الإنسانية، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د. ت)، ٣٤.

١١ العقاد، الإسلام والحضارة الإنسانية، ٣٦.

١٢ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، (دون محل الطباعة، ١٤٢٠)، ٢٠٠-٢٠٤.

مجرد جانب واحد من جوانب المدينة. كما كانت تحتوي على ٨٠ مدرسة تقدم التعليم المجاني للفقراء، وخمسين مستشفى. أما مسجدها، فلا تزال آثاره حتى اليوم تعد رمزاً خالداً في الفن والإبداع، حيث كان ارتفاع مئذنته أربعين ذراعاً وتقوم قبته الرشيقة على روافد خشبية مزخرفة، مدعومة بـ ١٠٩٣ عموداً.[١٣]

وقبل الخليفة العباسي الشهير المنصور، كانت بغداد مجرد ضيعة صغيرة يلتقي فيها التجار من المناطق القريبة سنوياً. وعندما قرر المنصور بناء المدينة، استقدم المهندسين والخبراء في مجال البناء والمساحة. ثم وضع أول آجر في أساسها قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.» وأعلن عن بدء البناء ثم قال: «ابنوا على بركة الله.» وقد بلغت تكاليف البناء أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم، وشارك في العمل نحو مائة ألف عامل. وكانت بغداد محاطة بثلاثة أسوار، كل منها يحيط بالآخر. كما وصل عدد سكانها إلى مليوني نسمة، واحتوت على ستة آلاف درب وسكة في الجانب الشرقي وأربعة آلاف في الجانب الغربي. وبالإضافة إلى نهري دجلة والفرات الجاريين في بغداد، كان هناك أحد عشر نهراً فرعياً يمدان جميع البيوت والقصور بالمياه. وفي نهر دجلة وحده، كان هناك ثلاثون ألف معبر. كما بلغت حماماتها ستين ألف حمام، إلا أن هذا العدد انخفض في أواخر عهد العباسيين إلى بضعة عشر ألف حمام. أما المساجد، فقد وصل عددها إلى ثلاثمائة ألف مسجد. وكانت المدينة تحتضن عددًا كبيرًا من العلماء والأدباء والفلاسفة، مما يصعب حصره.[١٤]

وهذا طرف مما أبداه المسلمون من الحكمة العملية في بناء المرافق العامة سواء في الشرق أو في الغرب. وتعال بنا نمش رويدا إلى الشرق الأقصى حتى نرى طرفا من حكمتهم العملية هناك أيضا ونكتفي هنا بما قاله العقاد عن دور الفاتحين المسلمين لشبه القارة الهندية وهو يعرب عن حكمتهم العملية العميقة في الواقع المعيش إذ يقول: «لم يكن قادة الدول الأفغانية فاتحين للبلاد فحسب؛ بل كانوا فاتحين للقلوب والعقول أيضا. وربما كان يجتمع في بلاط أمرائهم في جيل واحد أقطاب علم من طبقة الفارابي (ت ٩٥٠\٣٣٩) والبيروني (ت ١٠٤٨م) والفردوسي (ت ١٠٢٠ م) والعنصري (ت ؟) والعسجدي (ت؟) وأبو بكر الخوارزمي (ت ٩٩٣\٣٨٣)، وبديع الزمان الهمذاني (ت ١٠٠٧\٣٩٨)، وما زالوا يقربون إليهم في وطن كانت صفوة أبنائه من الحكماء والفضلاء على اختلاف النحلة واللسان.»[١٥]

فهذه المقتطفات التي اقتطفناها هنا حول الحكمة العملية التي كان المسلمون الأوائل يتمتعون بها قليل من كثير وغيض من فيض. قد حققها المسلمون الأوائل في شتى مجالات الحياة التي ألممنا بشيء يسير منها فكوَّنوا منها إنجازات حضارية عظيمة عجيبة في مجال المرافق العامة في مختلف بقاع العالم وأقاليم الدنيا، جعلوا من الدنيا مدرسة علمية عالمية وجامعة علمية كونية نهل منها مختلف الأقوام والشعوب في مختلف البلدان والأقاليم

فيحق لنا أن نتمثل بقول القائل:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

**القسم الثاني ضياع الحكمة عند المسلمين الأواخر**

فهيا بنا نعود إلى بيت القصيد من هذه المقالة وهو ما يعيشه المسلمون في القرون المتأخرة من الأزمة العميقة التي استولت على كافة أرجاء العالم الإسلامي في مختلف بلدانه وأقاليمه والتي تنوعت تنوع جوانب الحياة البشرية وهي أزمة «ضياع الحكمة». فيا للأسف الشديد ليس هناك جانب من جوانب الحياة العامة في العالم الإسلامي إلا ويعيش فيها المسلمون أشد الأزمات التي تشد الخناق منهم. ولكن نرى -والعلم عند الله- أن أكبر هذه الأزمات هو ضياع المسلمين للحكمة في كافة أنحاء حياتهم العلمية والعقدية والتفكيرية والأخلاقية والعملية وخصيصا منها السياسية والإدارية والتعليمية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من شتى جوانب الحياة الاجتماعية. فالأمة الإسلامية حينما كانت على وعي تام وبصيرة كاملة بالكيان الجوهري والشخصية الأساسية لها ولم تتعامل مع دينها على أنها دين مجرد -على حد تعبير الرئيس عزة بيجوتفيش (ت ٢٠٠٣) - بل تأخذ دينها وتتعامل معه على أن له المرجعية العليا في جميع معالم الحياة الإنسانية وملابستها ومناسباتها وعلاقاتها وصلاتها ومشاكلها ومسائلها وتتعامل معه على أنه دين ثنائي القطب يضم في إطار وحدته كلا طرفي الروح والجسد معا، حياة الأرض والسماء، الدين والسياسة والمجتمع في إطار واحد، والعبادة فيه لا تقتصر على التأمل والشعائر التعبدية الكنسية. وإنما تشتمل على كل عمل يتوجه به الإنسان إلى الله ابتداء من أصغر شيء (إزالة حصاة من الطريق) الى الجهاد لدفع الظلم والعدوان وإقرار العدل.[١٦]

نعم! إن أكبر الأزمات لأية أمة ما هو ضياعها للحكمة لأن معنى فقدان الحكمة في أية أمة ما هوغياب الرشد، والهدى، والحق، والصدق، والنصفة، والرحمة، والعدل، والعفة، والتوازن، ورعاية حقوق الغير، واحترام الآخرين من أفعال الناس، وأعمالهم، ومواقفهم، وعلاقاتهم، وصلاتهم، وملابساتهم، ومناسباتهم، ومحاولاتهم، وغيرها من سائر أحوالهم. ومعنى ضياع الحكمة هو فقدان التوازن والرشد والسداد من الأعمال والأفعال على مستوى الفرد والجماعة، ومعنى ضياع الحكمة هو فقدان التفكير السليم والتوجه العقلي الصحيح والاتجاه الفكري الرشيد في كافة جوانب الحياة. فإذا انطلقنا من هذه النقطة إلى أحوال المسلمين وجدنا ضياع الحكمة من عند جميع المسلمين في كافة مجالات حياتهم شيئا ملموسا محسوسا لا يماري فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان

إذاً أكبر أزمات الأمة الإسلامية هو إضاعتها حكمتها مذ أمد طويل على شتى المستويات: العقدية والسياسية والإدارية والأخلاقية والمعرفية والقيمية وغيرها من كثير من شعب الحياة الاجتماعية. فالأمة تعيش حالة مفزعة من الركود والسبات العميق ما جعل بعض المؤرخين الغربيين يعتبرونها ظاهرة ويطلقون عليها «ليل الإسلام» أو «غروب الإسلام».[١٧] ولن يتيسر تخلص الأمة من هذه الأزمة إلا بوثوبها إلى رشدها ورشادها وعضها بالنواجذ على مصادر حكمتها وتنزيلها لحكمتها على واقعها المعيش.

١٣ السباعي، من روائع حضارتنا، ٢٠٤.

١٤ السباعي، من روائع حضارتنا، ٢٧٩.

١٥ العقاد، الإسلام والحضارة، ١٠٨.

١٦ محمد يوسف عدس، الإسلام بين الشرق والغرب، (القاهرة: مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٩)، ٤٠-٤١.

١٧ عدس، الإسلام بين الشرق والغرب، ١٥٠.

لاجرم أن هذه الكارثة التي منيت بها الأمة الإسلامية منذ ثلاثة قرون أو أكثر كارثة متعددة الجوانب متنوعة الشعب. إذ تجد المسلمين ضعفت حكمتهم العملية بضعف الوازع الإسلامي لديهم فتخلخلت أمورهم وضعفت إلى درجة أن وصل العالم الإسلامي إلى حد زوال شخصيته وضياع كيانه الاجتماعي وفقدان هويتها الاجتماعية. وبسبب ذلك لم يبق للعالم الإسلامي ثقل لا في الموازين السياسية والديبلوماسية ولا في الموازين الفكرية والمعرفية ولا في المجالات العلمية والاقتصادية. وذلك بحكم فقدانهم للحكمة التي كان الله سبحانه منحهم إياها برشدهم واهتدائهم بهدايات القرآن. فلنلق نظرة عجلى على هذه الميادين التي ضاع المسلمون فيها الحكمة القرآنية وهي بإجمال كما يلي: الحكمة العلمية، والحكمة العملية، والحكمة الفكرية، والحكمة الأخلاقية، والحكمة السياسية، والحكمة الإدارية. فالمسلمون ضاعوا الحكمة في جميع هذه المجالات وتاهوا من جراء ذلك في جميع ميادين الحياة فأحدقت بهم أزمة من أشد الأزمات. ونكتفي في هذا العرض السريع ببيان ضياع المسلمين للحكمة في مجال العلم والسياسة والأخلاق ونحيل ضياع الحكمة في باقي الميادين إلى وقت آخر

### ١- ضياع الحكمة العلمية

إن المسلمين حينما كانوا متماسكين ومترابطين فيما بينهم بحبائل المودة والإخوة الإسلامية، وحينما كانوا متشددين ومستمسكين بأواصر الكتاب والسنة وممتثلين لأوامرهما ومتجنبين عن مناهيهما كانت وجوه الحكمة سائدة على جميع مناهج حياتهم ونواحي عيشهم. وكانت معاني الحكمة الذهبية فائضة عليهم من كل جانب ومنعكسة في كل قالب. وأما إذا اتخذوهما ورائهم ظهريا فغاب عنهم شيئا فشيئا غالب مكاسبهم الخيرة النيرة، وضاع عنهم معظم مكتسباتهم الشريفة التي اكتسبوها وحققوا فيها نجاحا كبيرا، وخصيصا في الحياة العلمية ومناهجها. ففي يومنا هذا إذا وزن أعمال الإنسان المسلم بمعايير الكتاب والسنة ومعايير الأخلاق الفاضلة التي يحض عليها الإسلام حضا شديدا تجد أن ذاك الإنسان الذي يدعي أنه مسلم ابتعد عن الإسلام بمراحل ولم يبق من الإسلام فيه إلا اسمه في هويته فقط

حقق المسلمون الأوائل في جميع نواحي الحياة إنجازات عظيمة وفتحوا فيها آفاقا شاسعة، وجابوا مجالات واسعة، بحيث صارت البشرية مديونة لهم في ذلك. ولكن بعد ما ذبلت فيهم الملكات الإبداعية وخمد فيهم قبس الاكتشافات العلمية صاروا عالة على الغير، فصاروا كمتسول على باب لئيم. فحينما بدأ الغربيون يهرولون في ميادين الإنجازات العلمية والاكتشافات الحديثة كانت الجامعات والمدارس المسلمة تتسكع – مع الأسف الشديد - في المناهج الغير المتطورة وكانت تكتفي بلوك مناهج الأقدمين فحسب من غير وعي وبصيرة، إذ لو أخذوا تلك المناهج وصاغوها صياغة حكيمة ملبية لمتطلبات العصر مع عدم الانقطاع عما يستجد حولهم من المناهج أيضا لكفتهم وأكثر. لكن الكوادر السياسية التي تغلبت على العالم الإسلامي من أدناها إلى أقصاها لم يستفيدوا من الماضي بحجة أن تلك المناهج قديمة قد أعفى عليها الزمن وأبلاها الدهر، ولم يعلموا لغبائهم السياسي وضيق آفاقهم التفكيرية أن ليس كل قديم عديم النفع وأن ليس كل جديد عميم النفع. نعم! لا ينكر ذو عقل ولب أهمية تراث السابقين للاحقين وأن كل لاحق مبني على سابق. فلا يستغني أبدا أية لاحقة عن سابقتها فبعدائهم الأعمى وبنكرانهم الأبله للقديم فوتوا على أنفسهم وعلى شعوبهم كثرا من خيري الدنيا والآخرة. وهم على ذلك محاسبون أمام الله، ومؤاخذون أمام قضاء التاريخ أيضا، ولا يزكيهم بفعلتهم هذه أحد، وسيرجمون عليها دوما في مجالس التاريخ. فهم لم يحاولوا يوما ما لإضافة شيئ للمناهج الموروثة عندهم من أسلافهم، ولم يسعوا لمسايرة الحاضر للأقوام الراقية المبدعة التي كانت تحقق كل يوم شأنا في مختلف مجالات التعليم والتربية وفق متطلبات العصر، وتحقق كل يوما إنجازا باهرا في مجال جديد من السياسة والإدارة والاقتصاد وغيرها من شتى الفنون

وفي الوقت الحاضر الذي بلغ فيه السيل الزبى ترى للأسف الشديد أن قادة المسلمين وساستهم لم يعتبروا مما عاشه كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وأقاصيها وأدانيها منذ القرن السابع عشر ولا يزالون يعيشونه إلى يومنا هذا من المآسي والمخازي والصراعات والاضطرابات الداخلية التي أودت بحياة ألوف الألوف من الناس، ولم تنبههم أيضا حميتهم الدينية –لعدم وجودها لديهم - ولم تثر ثائرتَهم عصبيتُهم القومية –لأنها حس زائف كاذب- فلم يرجعوا إلى أنفسهم تجاه ما خطط عليهم –ولا تزال - من المناورات الخارجية وما دبر على شعوبهم من المخططات خلف الكواليس في منازل الأباليس كما أن هؤلاء الشرذمة المسيطرة على مقادير المسلمين لم يأخذوا حذرهم ولم يضبطوا شأنهم في إنقاذ أممهم من أوحال الجهالة والعطالة والبطالة –لأنهم ليس لهم في هذا الشأن أي هم ولا غم - ، ولم يسعوا يوما ما لإيقاظ شعوبهم من سبات الغفلة المبيدة ومن رقاد الجهالة الممية- لأنهم لم يتسلقوا مناصب السلطة لذلك-. بل جل ما فعلوه أنهم إنما استوردوا من الغرب أو الشرق شيئا خفيفا طفيفا من جذاذات قشور المناهج التعليمية كي يخدعوا بها أنفسهم، ويخدروا بها شعوبهم، ويغروا بها أقوامهم حتى يأخذوا أصواتهم في الانتخابات، ويثبتوا جيدا مناصبهم الاستغلالية التي لم يتبوؤها إلا لاستغلال خيرات بلادهم ونهبها وسلبها لا غير. أما تلك الأمور الأساسية في مناهج التعليم التي لها مساس بجوهر الموضوع وروحه والتي تفتح للبلاد آفاقا جديدة رشيدة إلى الرقي والتقدم والتسلق على مصاعد العلم والتفكير الحر فهم بمنئ عنها. فبالرغم من أنهم يزعمون أنهم متوجهون للغرب للاستفادة من خبراتها وأخذ فكرها لكنهم يبتعدون كل الابتعاد عن فتح باب الحرية على أقومهم لما يرون في ذلك من خطر كبير على كراسيهم. نعم! يقول كارل بوبر: إن من أهم ميزات المجتمع المفتوح الأساسية: التفكير الحر وحرية الفرد، والنمو الشخصي، والحق في نقد النظم السياسية، والتبادل الحر للآراء، بالإضافة إلى أن بوبر يحث على التسامح ويقف ضد السلوك البربري.[١٨]

إضافة إلى أن الواقع المعيش في العالم الإسلامي يفيدنا العلم اليقيني أن المناهج التعليمية النافعة المجيبة لمتطلبات العصر والملبية لحاجاته هي السبيل الوحيد للوصول إلى الأهداف العلمية المطلوبة وهي الطريق الفذ لتحقيق نهضة الأمة، وارتقائها في درجات المجد والعز. ولكن – واحسرتا - لا تجد في العالم الإسلامي بطوله وعرضه منها نقيرا ولا قطميرا. ومن جراء ذلك لا تجد في كافة العالم الإسلامي نظاما تعليميا يتوائم مع متطلبات العصر وحاجاته. بينما الآخرون يحاولون من تقدمهم البالغ في العلم والتكنولوجيا أن يقتسموا بينهم كواكب السموات وأن يصلوا إلى قعار آبار الذرات. ثم إن ما يخصص في العالم الإسلامي من الميزانيات للتعليم يدل على مدى اعتناء البلاد المسلمة بالتعليم. ترى القائمين على شؤون التعليم في العالم الإسلامي لا يهتمون بشيء سوى الحفاظ على كراسيهم، والاستمرار في استدرار موارد الدولة لمنافعهم الشخصية، والاستزادة من ثرواتهم. وكل ما ذكرنا يدل على أبعاد ضياع الحكمة العلمية عند المسلمين

ثم إنه لا ترى في طول بلاد العالم الإسلامي وعرضها نظرة مستقبلية بحيث تعد عدتها في مجال التعليم وتعد الأجيال المستقبلة للترقي في سبيل

١٨ عدس، الإسلام بين الشرق والغرب، ٣٣.

العلم والمعرفة، ومع كل الأسف لا ترى في معظم العالم الإسلامي مناهج أو مخططات تعليمية تنتج أئمة للأمة في دينها ودنياها، وهداة يكونون مصابيح هدايتها ومحاصد قتادها، وهدَّؤا نفوسها إذا أقلقها اضطراب مهادها.[١٩] كما لا ترى تقدما ملحوظا في مجال الصناعات والتكنولوجيا. فكمثال بسيط على ذلك: هل تجد في العالم الإسلامي لحد الآن بلدا استطاع أن ينتج سيارات مسايرة لمتطلبات المجتمعات الحديثة متهيئة لدخول الأسواق العالمية منافسة لمثيلاتها المنتوجة في البلاد الأخرى؟ أو هل ترى في طول البلاد الإسلامية وعرضها جامعة وحيدة تكون منافسة في الإنتاج العلمي والمستوى المعرفي والإبداع التفكيري لإحدى الجامعات المرموقة في العالم الغربية أو الأمريكية أو اليبانية أو الصينية أو غيرها؟ أو هل ترى مراكز أو معاهد تأتي بأفكار جديدة أو مسائل مبتكرة أو اكتشافات حديثة؟ أو هل ترى في عامة الأقاليم الإسلامية مخططات علمية متماسكة متضامنة متوائمة يتنافس فيها المتنافسون؟ أو هل ترى في أحد بلادنا منظمة تعليمية سليمة تلبي حاجات المجتمع المسلم من ناحية دينها ودنياها؟ اللهم في كل ذلك لا! لا! لا!

إن ما يلوكه العالم الإسلامي من المخططات والمنظمات والبرامج التعليمية إن هي إلا منسوجة من أفكار بالية عفى عليها الزمن منذ أمد بعيد. فهي ليست كفيلة بالايفاء بأي حاجات أي قطاع من قطاعات المجتمع لا القطاع الصناعي ولا القطاع الاقتصادي ولا أي قطاع آخر. إن السمة الغالبة على معظم تلك البرامج هو إنقاذ اليوم أي الا شتتغال بسد شيء من الحاجات اليومية ليست إلا. ولا يخفى على ذوي بصر وبصيرة أن جميع هذه السلبيات المؤلمة التي يتقعس فيها العالم الإسلامي ليس إلا من ضياع الحكمة العلمية والتفكيرية فيها. إذ لا يوجد فيها من الرجال من هم كالرجال. فلذا لا ترى من ساسة العالم الإسلامي وقادته من يغامر بنفسه لإنقاذ أمته وبلده بأن يخوض في تلك الصراعات الشرسة والمغامرات الجريئة تجاه من يعوق حركة بلاده نحو التقدم والترقي. نعم يفهم كل بصير محنك أن هناك في كل بلد من بلاد العالم الإسلامي يدا خفية أثيمة ملعونة منسوجة من أجزاء داخلية وعناصر خارجية هي بالمرصاد لمصالح بلاد المسلمين في شرق العالم الإسلامي وغربه، فكلما نجم على الساحة العملية شيئ من أمارات الإصلاح وترميم الأصداع والشقوق التي لاحت في جدران بنيان المجتمع، وكلما ظهر شيء من علامات الترقي والتقدم في أي بلد إسلامي أخذت تلك اليد الخفية الأثيمة تعثو في الأرض فسادا، وتعبث بمصالح المجتمع، وتدبر تدابير خفية مدسوسة، وتمكر مكر الليل والنهار فتدمر تلك المحاولات الإصلاحية في أقرب وقت ممكن بحيث تولد ميتا. ولكن من دواعي الأسى والأسف أن القائمين على شؤون المجتمع في العالم الإسلامي من الساسة والكتاب والإعلاميين والمثقفين والصحفيين لا يشعرون بمفعول تلك اليد الخفية الملعونة، ولا يتنبهون لا لوجودها المشؤوم ولا لدورها اللعين. ومن أهم معالم تلك اليد الأثيمة وميزاتها أنها تظهر في مختلف خلايا المجتمع بلبوس الصالحين المصلحين وتدندن بشعارات الوطنية والأنسنة فتخدع القلوب وتفسد العقول وتمضي قدما للعب دورها السيء بخبث وخفاء ومكر ودهاء. وكأن بعث الأمة الإسلامية من سباتها مرهون بالاستيقاظ لوجود هذا الخبيث الماكر وتنحيته عن المجتمع وإزاحة كيانه واستئصال شأفته ليس إلا. وهذا يقتضي بسالة وجسارة وحكمة وحنكة وبصيرة نافذة وتضحية جادة وإخلاصا تاما وعزوفا عن مغريات الحياة حتى لا تعوقه عن وجهة مقصده

وعدم التنبه لهذه اليد الأثيمة اللعينة ليس إلا من فقدان الحكمة التفكيرية والسياسية عند أرباب المناصب العليا والمراتب العظمى في مختل مرافق الحياة إذ هم لا يعقلون ولا يستيقظون من سباتهم المميت إلا بعد ما ظهر هيكل العدو على أبوابهم وفي يده بندقيته موجها إياها لنحورهم، وحاملا على كواهله صواريخه السامة لضربهم في عرينهم وهذه هي المصيبة العظمى والداهية الكبرى التي مني بها المسلمون

## ٢- ضياع الحكمة السياسية

إن المسلمين كما أضاعوا الحكمة العلمية كذلك أضاعوا الحكمة السياسية بأبرز معانيها ومضامينها. ترى في جميع أرجاء العالم الإسلامي الشاسعةِ البنيةَ السياسيةَ مهترئة نحيلة عليلة لا يستطيع معظمهم السياسيين في العالم الإسلامي أن يسوسوا البهائم والجماد بله البلاد والعباد، فليس لديهم رفق بالعباد ورحمة عند التناد، وليس لهم بالناس عدالة وحكمة، بل إنما تساس الغالبية العظمى من العالم الإسلامي بحفنة من المتغلبة القاسية قلوبهم الفاجرة نفوسهم التي تتغذى عروقها من الخارج، وتتلقى دروسها من العدو، والتي تسلقت تلك المناصب العليا في السياسة بمخطط مدسوس لا يعلها إلا ربي. فبينما كان المفروض أن يكون الكيان السياسي صمام أمن للبلاد والعباد وحرزا من جميع الفتن والفساد لكن ترى أن الأمر بالعكس تماما في الغالبية العظمى من بلاد العالم الإسلامي. إذ معظم خوف العباد في العالم الإسلامي من ساستهم أنفسهم، ورأس الفتن والفساد ومنبع الرشوة والخيانة وعنوان الظلم والجور في العالم الإسلامي هم الكوادر السياسية والإدارية لا غير. ثم إن ضياع الحكمة ليست في السياسة فقط بل عامة الشعوب أيضا لا تجد في مواقفها السياسية شيئا من السداد والرشاد، ولا ترى عينا ولا أثرا من الحكمة في انتخاباتهم وفي تصويتاتهم وتصرفاتهم الشخصية والمتعلقة بأمر العامة والخاصة والبيئة. ترى الغوغاء من الشعوب المسلمة يخيطون أكفانهم بأيديهم في الانتخابات العامة فيصوتون لمن لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة. فيسلمون أزمة أمورهم وأعنة شؤونهم لمن إذا تولى عمل جاهدا في الأرض ليهلك الحرث والنسل و الله لا يحب الفساد ,وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم. فحسبه جهنم ولبئس المهاد

ثم إن معظم الكوادر السياسية والإدارية في معظم العالم الإسلامي ليس لهم في الاشتغال بالأعمال السياسية وطلب المناصب الإدارية هم ولا غم إلا نفخ كروشهم وزيادة قروشهم وتحكيم عروشهم. فلا يرى لهم في ترقية البلاد ونهضتها فتيل ولا قطمير. فليس لهم لترقية بلادهم أي تخطيط فكري ولا أية محاولة سياسية على المدى القريب والبعيد، ولا يوجد لهم نظرة مستقبلية فيما يؤول إليه أمر المجتمع. نعم! إن تقدم الأفكار وتطور الأنظار يفتح كل يوم مزيدا من الآفاق في مجال عوامل ترقية المجتمعات بمختلف أطيافها فكثير ممن لهم ولع بمستقبل المجتمعات ولهم عناية بنهضتها وترقيتها من مفكري الشرق والغرب يصرحون بأساب ترقي المجتمعات قديما وحديثا. فمثلا يقول رئيس الأعيان في المجلس العثماني **أحمد رضا بك** في صدد بيان أسباب رقي المجتمع الإسلامي الأول: «ولم يتوقف رقي البشرية مدة سبعة قرون إلا لفقدان تلك الظروف التي اضمحلت مع المدنية اليونانية – الرومانية وكان أهم عمل الإسلام إحياء تلك الظروف وساعده على ذلك أربعة عوامل إسلامية المنبت متماثلة في الأهمية لا يمكن فصلها عن بعضها

أولها أن الإسلام امتاز عن غيره من المعتقدات بالاعتراف بالماضي وباحترامه فإن النبي صلوات الله عليه عوض أن ينبذ المتقدمين والأجداد ويلعنهم وعوض أن ينادي: «دعوا الأموات يدفنون أمواتهم» أو يقول مثل القديس جيروم: «اجهل الماضي بالأخص» أو ينصح مثل القديس ريمي: «احرقوا جميع ما كنتم تعبدون» كان بعكس ذلك يجل كافة الأنبياء المتقدمين وكتبهم إذ نصح بالانقياد إليهم والعمل بتعاليم السلف لفائدة الخلف...

١٩ محمد الطاهر ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، (القاهرة: دار السلام، ٢٠١٠\١٤٣١)، ١٥.

وأما العامل الثاني على رقي العرب فهو الواجب المفروض على كافة المسلمين بتعلم قرائة القرآن العظيم فإن الشاب العربي الذي يتعلم قرائته بلغته الفصحى ويحتفظ شيئا من آياته البليغة وإن لم يصر أديبا فقد طرق السبيل الموصلة إلى الآداب ذلك لأن القرآن لم يكن قانونا دينيا فحسب بل هو أيضا نظام مدني وسياسي أفرغ في لغة بعيدة الأطراف..

العامل الثالث أن الإسلام لا يعترف بكنيسة ولا يرضى على طائفة تحتكر علم الدين ولا يسوغ واسطة بين الخالق والمخلوق كما أن الإسلام ليس له وطن ولا يفضل بين الأجناس أو يستنقص بعضها للونه أو منشئه ..

العامل الرابع الذي يعد الحجر الأساسي لذلك الهيكل الشامخ فهو التسامح والحرية العقلية اللذين جاء بهما الإسلام ولم يكونا معروفين في الغرب واللذين لا يمكن للإنسان أن يحصر مزاياهما كما اعترف بذلك المؤرخ مرسيي حيث قال: «التسامح هو أساس الدين الإسلامي» وأكد قوله الشماس ميشون إذ كتب: « ومما يوجب التأسف أن الملل المسيحية أخذت التسامح الديني الذي هو شريعة المحبة الكبرى عن المسلمين...» [٢٠]

فيا ترى! هل يعتبر من هذا الماضي المجيد الذي استفاد منه الأجانب كثيرا وزمنا طويلا أحد من المسلمين يومنا هذا قليلا أو كثيرا لا إخال أن أي واحد من السياسيين المسلمين ألقى نظرة اعتبار عليه دعك من الاستفادة منه. فهذا الارتباك والتقعقع السياسي الذي يعيشه المسلمون ليس إلا من إضاعتهم للحكمة السياسية سواء على المستوى المحلي والإقليمي أو على المستوى العالمي

وحينما نقارن مقارنة بسيطة بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الغربية المتمدنة في المجال السياسي خاصة نجد أن النضوج السياسي في المجتمعات الغربية وضبط المواقف السياسية الصارمة الحاسمة فيها بلغا أوجهما ووصلا إلى ذروتهما فصارت المؤسسات السياسية هناك كصمام أمن للمجتمع. ومن جراء ذلك تكون حبل قوي وعروة وثيقة من الثقة والطمأنينة بين الشعوب الغربية ودولها. وترى المواطن الغربي يشدد يديه على نظام بلده ويعتني اعتناء تاما بالحفاظ على منافع الدولة والامتثال لقوانينها لأن الدولة هناك هي مفزع المجتمع وملاذه الأمين، وركنه الحكيم، ومحل ثقة الجميع. فهو بما يرى من تصرفات دولته العادلة الرحيمة والحامية لحقوقه كما يسهر على منافعه الشخصية كذلك يسهر على منافع دولته بل أكثر، ولا يرضي بإضرار دولته في قليل أو كثير. وكل ذلك بما اكتسبت الدولة من تصرفاته الحكيمة من ثقة مواطنيها على أحسن الوجوه. وبالغالبية العظمى لا تحابي الدولة هناك أحدا على حساب آخر

أما شعوب الدول الإسلامية فللأسف الشديد لا تزال كقطعان الأغنام ليس إلا. فهم مغلوبون على أمورهم، وليس لهم لا حرية الكلام ولا حرية الطعام، وهم مسيرون لا مخيرون. ولا يسمح لهؤلاء الشعوب أن يرفعوا عقيرتهم ضد ساستهم وقادتهم ولو أحاطت بهم صاعقة العذاب. فمن هنا يفهم أن الشعوب المسلمة لم تصل بعدُ إلى مستوى «المجتمع» بمعناه الاصطلاحي لدى علماء علم الاجتماع، المجتمع الذي يدافع عن حقوقه، ويعارض من عقوقه، ويستطيع أن يكبح ما يرى في المجتمع من الفتن والمفاسد، بل هي مضطرة إلى أن تقبل ما ألقي لها رغما لأنفها، وليس لها حق الاعتراض على أي شيء كتب عليها وليس لها المطالبة بإعطائها حق الحرية في الأخذ والرد حتى في شؤونها الخاصة

أما المجتمعات الغربية فهي مجتمع بمعنى الكلمة تأخذ ما لها وترد ما عليها. وكأقوى مؤشر على ذلك ما تجده في المجتمعات الغربية من ردود الفعل القوية تجاه ما يضر الفرد أو الشعب والمجتمع أو البيئة من القرارات أو القوانين أو التدابير أو غيرها. إن المجتمعات الغربية يقظان حذرة من مواقف الساسة ولا يقبلها على علاتها. فهذا يدل على موقف المجتمع السياسي السديد تجاه ما يهمه من تصرفات الحكومات والإداريين

إن ساسة العالم الإسلامي لفقدان الحكمة السياسية السديدة فيهم لا يستطيعون أن يستفيدوا من تلك الطاقات الإنسانية الهائلة الموجودة فيها كما لا يستطيعون أن يستغلوا لصالح الأمة تلك الثروات المعدنية الغنية الواسعة إذ غشيهم من الغباء السياسي ما غشيهم، فلهم قلوب لا يفهمون بها مشاكل الأمة، ولهم أعين لا يبصرون بها مصائب الأمة ، ولهم آذان لا يسمعون بها شكاوى الأمة، وهم صم عن كلمة الحق، بكم عن مقولة الحق، عمي عن صراط الحق، وهم لا يرجعون إلى الرشاد والسداد في إدارة الأمور

فمثلا بالرغم من أن ألمانيا واليابان كانتا من أكثر البلاد التي تضررت بالحرب العالمية. إذ كلتاهما دمرت تدميرا ولكن كلتاهما قفزتا في الانتعاش الاقتصادي قفزة حيرت العقول وأدهشت القلوب فصارت كل واحدة منهما من إحدى القوى الاقتصادية العالمية الكبرى إلى جنب نهضتهما العلمية والتكنولوجية. وليس ذلك إلا مما كانت تتمتع به ساستهم من الحكمة والرشد في السياسة والإدارة ليس إلا

أما البلاد الإسلامية فلا نرى فيها بلدا واحدا اعتبر من أحداث الماضي وانطلق من الحاضر نحو المستقبل فخطط له تخطيطا سليما سديدا ينهض ببلده نحو أحد هذين البلدين. كما أن البلاد الغربية وبعض البلاد الشرقية تراها تسوس بلادها سياسة سليمة تسعد مواطنيها بنسبة كبيرة، وتراها توفر الأمن والأمان والسلم والسلام والطمأنينة والرفاهية والسعة والرخاء لمواطنيها. وتجد في أكثر البلاد الغربية أن المواطنين يجدون ملجأ آمنا يحميهم من ظلم وعبثية الأطراف العاتية المعتدية وهي جهاز الدولة عامة والجهاز القضائي خاصة. أما في بلادنا الإسلامية فمع الأسف الشديد لا يجد المواطن المسلم مرسى أمن ولا مأوى سلم في بلاده تجاه اعتداء المعتدين وعتو العاتين؛ بل الدولة هي الكابوس الأعظم الذي يجثم بكلكله على المجتمع دوما ويستغل أموالهم، وينهش أجسادهم وينتهك أعراضهم. والجهاز القضائي أيضا لعبة في أيدي القادة والساسة يعبثون به كيفما يشاؤون، ويضربون به من يشاؤون، ويقمعون به من يشاؤون. فهو أيضا بدوره هذا لا يروي غليلا ولا يشفي عليلا. فوضع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأقاصيها وأدانيها هي الداهية الدهياء، والباقعة السوداء

ومن جراء ذلك كانت المؤسسة السياسية في العالم الإسلامي كله لا تعد بخير في المدى القريب ولا تأتي ببر في المدى البعيد، وتأتي مؤسسة السياسة في رأس قائمة المؤسسات التي لا توثق بها أبدا، إذ ليس لها خطا مستقيمة ولا مخطط مستبين أو كيان ثابت بل هي حُوَّلٌ تتغير بين عشية وضحاها. فهي عارية عن جميع معاني الحكمة، وخالية عن أحوال الفضيلة، وبعيدة عن أوضاع العدالة. ومن هنا لا يقوم العالم الإسلامي مما ارتطم فيه من أوحال التخلف والجهل والفقر والتمزق. وكل هذا يدل على عمق أزمة المسلمين من ضياع الحكمة السياسية فيهم

٢٠ أحمد رضا بك، الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة محمد بورقيبة ومحمد الصادق الزمرلي، (تونس: دار بو سلامة للنشر، ١٩٧٧)، ١٤٦-١٥٠.

فأول ما يتحتم التنبه له هو أن الأغلبية العظمى من ساسة المسلمين وقادتهم بالرغم من أنهم ولدوا بين أبوين مسلمين وبالرغم من أنهم يحملون هويات إسلامية لكن من دواعي الأسف البالغ والأسى الشديد أنهم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا يعلمون من حقيقة الإسلام الجوهرية ومن كيانه الحِكَميِّ شيئا جديرا بالذكر حريا بالفكر، ويحصرون الإسلام بحذافيره في مجال العبادات، ويقصونه عن تنظيم الحياة، مع أننا نرى أن أشد الناس عداء للإسلام يرى ويعلم أن الإسلام ليس دين سبحة وتلاوة فقط بل يعلن على رؤوس الأشهاد وعلى مرأى ومسمع من العالم قاطبة أن الإسلام دين ودولة وسياسة وسيادة وأخلاق وعلاقات. يقول برنارد لويس وهو المستشرق اليهودي المعروف بتخطيطه ومكره وكيده في كتابه أزمة الإسلام: :كما يستوعب الإسلام آداب الشراب والطعام يستوعب كذلك جميع أنشطة الإنسان أيضا.[21] ويقول رئيس جمهورية بوسنة والخرسك المتوفى عاليا عزت بيجوفيتش رحمه الله وهو الرجل الحكيم حول هذا الموضوع الذي يشكل حسب منظوره مفهوما أساسيا أقام عليه فلسفته الإسلامية: «إن الإسلام وحدة ثنائية القطب .. هو ليس دينا مجردا كما يفهمه الغربيون. فمصطلح «دين» عندهم لا يعني أكثر من أنه تجربة فردية أو علاقة شخصية ..هو علاقة تعبر عن نفسها فقط في مجموعة من المعتقدات والشعائر يؤديها الفرد وحده أو في جماعة من أمثاله بمعبد أو كنيسة..وخارج هذا الإطار تخضع حياته كلها وسلوكه لقانون آخر وقيم أخرى لاعلاقة لها بهذا الدين الذي يعتنقه أو يمارس شعائره .. والإسلام ليس هكذا.. ليس دينا بهذا المعنى .. الإسلام أكثر من مجرد دين أو بتعبير بيجوفيتش المحدد [ليس دينا مجردا] لأنه يحتوي الحياة كلها .. (ليس جزأً من الحياة ولا جزأ من الثقافة) كما يحلو لبعض المثقفين العلمانيين والملحدين عند ما يتفضلون على مستمعيهم أو قرائهم بأنهم لا يستبعدون الدين كلية من الحياة أوالمجتمع.. المسلم صحيح الإيمان يصحبه دينه في كل لحظة من لحظات حياته منذ استيقاظه في الصباح حتى يأوي إلى فراشه في المساء. الإسلام مع المسلم في كل موقف يتخذه من الناس ومن الأحداث؛ لايستطيع أن يقف ساكنا ويقول ما لي وللآخرين إذا كان الموقف يتطلب المعونة فهو مسؤول عن تقديمها .. وإذا كان الموقف يدعو إلى نصرة المظلوم وكف يد الظالم فهو مسؤول .. وإذا كان الموقف موقف استرداد حق مغصوب أو عدالة مفقودة فهو مسؤول .. ولا يصح أن يبيت المسلم شبعانا ويبيت جاره يتضور جوعا .. نظرة الإسلام شاملة .. والعبادة في الإسلام تمتد على نطاق واسع سعة الحياة نفسها .. ليست عبادة الله قاصرة على أداء الشعائر في المسجد .. وفي خارج المسجد شأن آخر.. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي .. ومن لا تنهه صلاته فلا صلاة له.. والأمر لا يختلف في كل الفرائض الإسلامية .. فمن لم ينهه الصوم عن قول الزور (أي مثلا) فلا صوم له.. وكذلك الحج والزكاة .. لا بد فيهما من إخلاص النية لله والحذر من الرياء والمن.. وحديث الهجرة يردده جميع المسلمين: (.. ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) .. الغربي المسيحي تنتهي علاقته بالله وبدينه عند ما يترك الكنيسة ويخرج إلى الشارع .. فهنا عالم الصراع والتنافس والمصالح ولا بأس من استخدام الأساليب الميكافلية طالما أنك لا تقع تحت طائلة القانون وفي هذين الموقفين المتعارضين يتجلى الاختلاف بين الإسلام والدين المجرد.[22] وكذا يصرح بنفس المعنى: GAI EATON الديبلوماسي الإنجليزي الذي أسلم وتسمى باسم سيدي حسن عبد الله عبد الحميد في كتابه «الإسلام وقدر الإنسانية»: إن الإسلام يكوِّن ويقوِّم جميع جبهات حياة الإنسان وتفكيره وجميع أطواره ومواقفه على قاعدة الدين فإذا ذهبت تحرك هذه القاعدة عن محلها أخذ جميع البنية (الإسلامية) تنقض وتنهار ...إن الإسلام لا يقبل التفرقة بين الحياة الدنيوية والأخروية. فالعبادة وتلبية حاجات الجسد، والدعاء والتسوق في السوق، والسعي واللهو (المباح) في نظر المؤمن يشبه العالم من حيث أنها كأجزاء كتلة موحدة لا تقبل أي شيء من الانقسام والانفصام.[23] فهذه التصريحات المعلنة على رؤوس الأشهاد تفيد أن الإسلام هو الدين الذي يقوم جميع جوانب حياة الإنسان وليس فقط عبارة عن بعض طقوس تعبدية تؤدى في زوايا مظلمة من المعابد لاصلة لها بالحياة وتنظيمها وإصلاحها وإدارتها وهذه فرية على الإسلام ما فيها مرية

فيجب على ساسة المسلمين أن يقوموا نظرتهم إلى الإسلام، وأن يصححوا عقيدتهم به، وأن يجددوا يقينهم فيه، وأن يستيقنوا أنَّ الإسلام يكفيهم في جميع شؤون دينهم ودنياهم حتى ينظموا أمورهم وفق سننه وشرائعه، ثم ينطلقوا نحو صياغة جديدة لحياة بلادهم

لاجرم أن من أهم مظاهر الحكمة السياسية التي يتحتم على أولياء أمور المسلمين أن يراعوها في سياساتهم العالمية والإقليمية هو التفريق الكامل بين نظام الحضارة الإسلامية ونظام الحضارة الغربية فإن النظام الحضاري هو الذي يحدد مسير المجتمعات نحو التمدن والترقي والتنمية ولقد لخص غارودي النقاط التي تفرق بين كلا النظامين إذ يقول ذاكرا ومحددا لميزات الحضارة الغربية

١- استندت الحضارة الغربية على الإرادة الفردية الغازية المريدة للربح والسيطرة والتي لا تتردد لحظة واحدة في تدمير القارات والحضارات من خلال توجيه العلوم والتقنيات.

٢- اعتمدت النظرة العلمانية الصرفة التي تؤكد أن العقل يحل كل المشاكل وأن المشاكل الأخرى هي مشاكل لاهوتية زائفة،

٣- إن هذه الحضارة لم تستطع إلى الآن أن تحدد غايات الإنسان الحقيقية ولا أن تسيطر على الوسائل التي توصله إلى تلك الغايات،

٤- إذن فهذه الحضارة تحيل الإنسان إلى العمل والاستهلاك، وتحيل الفكر إلى ذكاء آلي، فيتجرد من الإيمان والحب والشعور الفني، وتحيل اللانهائي إلى الكم، ولذلك فإن هذه الحضارة مؤهلة للانتحار،

وبعد كلام علمي استقرائي طويل حول طبيعة تلك الحضارة الغربية ينتهي غارودي إلى أن نمط التطور الذي تمارسه المجتمعات الصناعية يقود البشرية إلى درب مسدود.[24]

فمقتضى الحكمة السياسية يوجب على الساسة المسلمين أولا وقبل كل شيء أن يصبوا جل عنايتهم نحو إزاحة الفساد واستئصال شأفته من جميع أرجاء الأمة وأن يشمروا عن ساق الجد في كفاح دائم ومستمر مع الإسراف والتبذير وأن يبتعدوا عن مظاهر الفخفخة والأبهة والبذخ والترف، ومن ثمه أن ينشروا بين أرجاء الأمة القصدَ والتوسطَ في الإنفاق وفي الملبس والمسكن والمأوى والمركب وسائر حالات الإنفاق، وأن يتخلقوا في سياسة البلاد بأخلاق

21 Bernard Levis, *İslam'ın Krizi*, çev. Abdullah Yılmaz, (İstanbul: Literatür Yay. 2003), 18

٢٢ عدس، الإسلام بين الشرق والغرب، ١٠٣-١٠٦.

23 Gaı Eaton, *İslam ve İnsanlığın Kader*i, 9-10

٢٤ محسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية، (السعودية: دار المنارة، ١٤٠٩)، ٧

الأنبياء فيكثروا من التشاور مع أهل العلم والحكمة والحنكة، وأن يخفضوا جناح الرحمة لكافة أهل البلاد ويتواضعوا لهم وأن لا يجعلوا بينهم وبين أهل البلاد سورا من حديدا باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وأن يفسحوا باب الحريات لشعوبهم

### ٣- ضياع الحكمة الأخلاقية

إن من أخطر المجالات التي أضاع المسلمون فيها الحكمة هي مجال الأخلاق سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الاجتماعي، وفي جميع مجالات الحياة الأخلاقية، بحيث صار التخلي عن الأخلاق خلقا للناس، وصار ترك القيم قيمة بين الناس. فهل لهذا من مبرر أو من مسوغ؟ نعم بالر غم من صدود الغرب وبعض دول الشرق عن الدين لكن لم يتخلوا عن القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية وبعض المثل السامية. أما المسلمون فحينما تعامل مع كثير منهم ممن يحملون الأسماء المسلمة والهويات المسلمة ووُلِدوا بين أبوين مسلمين ونشأوا في بلد مسلم يسمعون الآذن صباح مساء ويمرون بالمساجد وسائر الشعائر الإسلامية ليل نهار لكن حينما تعامل معهم يعتريك العجب مما ضاع من الأدب، وتحيق بك الدهشة من كل ناحية وزاوية من شراسة طبيعتهم، وسوء معاملتهم، وخبث طويتهم، وقبح سيرتهم، وشرير أخلاقهم، ونتن فعالهم، وقسوة سجيتهم. فحينما تنظر إلى أوامر الكتاب والسنة وتوجيهاتهما الأخلاقية المثالية العليا تلاحظ وتحكم أنه لا بد أن يكون المسلم أينما حل وارتحل رمزا على الفضيلة وشعارا على كافة القيم الأخلاقية. ولكن مع بالغ الأسى والأسف لا تجد في واقع دنيا المسلمين من الأخلاق إلا سرابا بحتا فهم مصداق ملموس وواقع محسوس لقول القائل

أما الخيام فإنها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائها

وخصيصا إن المستوى الخلقي الذي انحطت إليه المرأة المسلمة يستحق أن يكون مضرب مثل بين العالمين إذ كانت المرأة المسلمة فيما قبل مثلا في الأدب والحشمة والحياء والعفة والوقار وطهارة الذيل وعفاف النفس ونزاهة الفعال والخصال، وكانت نموذجا كريما في الأخلاق الرفيعة والإنسانية المثلى. ولكن للأسف الشديد مذ بدأ فترة ضياع الحكمة فينا نرى المرأة المسلمة صارت نموذجا في التخلي من جميع القيم النسوية والانخلاع من المبادئ الأخلاقية وصارت في الصف الأول للدعايات المستهترة التي تسعى للمزيد من إطلاق العنان للدعارة والسفور والخلاعة. فمثلا بالرغم من أن الزنا بين المحارم (Enses) منتشر في المجتعات الغربية ولكن لا يذهب الرجل الغربي مع أخته إلى رجل الكنيسة يبتغي منه تزويجهما لأنه يعلم أن الدين يمنع ذلك بتاتا، ولكن مع الأسف الشديد الرجل اللبناني الذي يدعي أنه مسلم لا يستحي من ذلك ويأخذ معه أخته إلى أحد المفتين في لبنان كي يزوجها منه والمفتي يرفض ذلك بتاتا. وترى مع الأسف الشديد أن الأخت تناقش المفتي بكل وقاحة في ذلك بدرجة أن اضطر المفتي إلى مغادرة القاعة من شدة وجده وغضبه. فهذا الحادث يبرز عيانا بيانا صورة التدهور الخلقي والانحطاط الأخلاقي الذي انهوت إليه المجتمعات المسلمة. هذا عدا ما يعاش في الأزقة والشوارع والملاهي والمقاهي من السفور والاختلاط المحرم بين الجنسين، وعدا تلك الأزياء التي تتابعها وتلبسها الكاسيات العاريات. فهل كل هذا من الصدفة في الأمور؟ لا ثم لا!! بل يدبر كل هذه الأمور وفق مخطط مدسوس مدروس وراء الكواليس يستهدف مسخ هوية الأمة الإسلامية وهو ما تحقق فعلا ولكن المسلمين يقبلونه على علاته بحجة حرية المرأة وحماية حقوقها

وكذلك دنائة المستوى الخلقي لدى الشباب المسلمين يستحق أن يدعى له كل ويل وثبور. فالشباب المسلمون

صاروا بمنزلة إنسان آلي ميكانكي متخل عن جميع القيم والفضائل والفواضل والمبادئ، وصارت جميع همومهم في بطوهم وفروجهم وجيوبهم، لا يهمهم أي شيء من سوى ذلك

**خاتمة**

إن الحكمة من المفاهيم التي لا تهرم بكر القرون ولا تخلق بمر العصور. بل ربما تزداد شبيبتها بتقدم الزمن، وتطور المدارك، وتوسع آفاق التفكير، واتساع مجال العلوم والثقافة. فكان لزاما أن يعتني القرآن بالحكمة ويوجه الناس إليها في مختلف السياقات. وقد فعل حيث نوه القرآن العظيم بالحكمة فيما يقارب عشرين موضعا من مختلف السياقات. ومما للحكمة من الثقل والرجحان في موازين التقويم والاعتبار امتن الله على البعض من خلص عباده بإعطاء الحكمة كما عد تعليم الحكمة لنفس السبب – والله أعلم- من إحدى وظائف النبوة الهامة، وجعلت الحكمة في الكثير من السياقات الأخرى رديف الكتاب. فبينما كان المسلمون الأوائل على رشد في أمر دنياهم وسداد من أمر دينهم وعلى صلة تامة وثيقة بكتاب ربهم وسنة نبيهم كانت الحكمة تفيض من مختلف جوانب حياتهم ومتعدد مجالات نشاطهم. كانوا حكماء بررة في تفكيرهم وعلمهم وعملهم وسياستهم واقتصادهم وإدارتهم وتعليمهم وتعلمهم وأخلاقهم وسائر ملابساتهم ومناسباتهم..

وحينما اضطربوا في أمر دينهم، وأنكرت نفوسهم مناهج ربهم، وأضاعوا الحكمة في مختلف أعمالهم ونشاطاتهم الفكرية والعلمية والسياسية والأخلاقية أخذت الأزمات والاضطرابات الفردية والجماعية تنهال عليهم من كل حدب وصوب، كما طفقت أزمتهم تتفاقم بمرور الأيام وكر العصور. فيشهد التاريخ أن أكبر أزمة مرت بها هذه الأمة هي أزمة ضياع الحكمة وفقدانها في جميع ما يزاولونه أمة وشعوبا وقادة وساسة وأمراء وعلماء

**ثبت المصادر**

**القرآن الكريم**

آلوسي شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥\١٩٨٥.

كوثري محمد زاهد، مقدمة أحكام القرآن للشافعي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤.

محسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية، السعودية، دار المنارة، ١٤٠٩.

مكي أبو طالب محمد بن علي بن عطية، علم القلوب، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة القاهرة، ١٣٨٤\١٩٦٤.

سباعي مصطفى، مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، بيروت: دار الوراق، ١٤٢٠\١٩٩٩.

ابن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، القاهرة: دار السلام، ١٤٣١\٢٠١٠.

عدس محمد يوسف، الإسلام بين الشرق والغرب، القاهرة: مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٩ .

عقاد عباس محمود، الإسلام والحضارة الإنسانية، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د. ت.

رضا بك أحمد، الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة محمد بورقيبة ومحمد الصادق الزمرلي، تونس: دار بو سلامة للنشر، ١٩٧٧.

المراجع الأجنبية

Eaton Gaı*, İslam ve İnsanlığın Kaderi,* çev. İhsan Durdu, İstanbul, İnsan yay. 1992.

Levis Bernard, *İslam'ın Krizi,* çev. Abdullah Yılmaz, İstanbul: Literatür Yay. 2003.

Kaya Mahmut, *"Beytulhikme"* TDV, İstanbul, 1999.

İkbal Muhammed, *İslam'da Dinî Düşüncenin Yeniden Doğuşu,* çev. Ahmet Asrar, İstanbul: Bir yay. trz.

## Extended Abstract

One of the most defining and distinguishing features of the Islamic Ummah is the wisdom it has cultivated over centuries, a wisdom that has been a source of immense goodness, blessings, guidance, and righteousness. This wisdom, deeply rooted in divine revelation and enriched through intellectual endeavor, enabled the Ummah to establish a civilization that illuminated the world with its values and contributions. Through this wisdom, the Islamic Ummah became a beacon of justice, compassion, and knowledge, setting a standard that inspired not only its followers but also humanity at large. The impact of this wisdom can be observed in various fields, including science, philosophy, governance, and spirituality, all of which contributed to the progress and well-being of societies. The Ummah's legacy of wisdom was not merely theoretical; it translated into a tangible, thriving civilization that balanced faith and reason, spiritual fulfillment, and material progress.

However, as we observe the current state of the Islamic Ummah, it is clear that it faces numerous acute and existential crises at multiple levels. These crises, profound and complex, threaten to undermine the very identity of the Ummah in its spiritual, cultural, social, and intellectual dimensions. If not for the preservation of its foundational sources—the Qur'an, the Sunnah, and the intellectual legacy derived from them—the damage could have been even greater. Yet, despite this safeguard, the most significant and impactful crisis the Ummah faces today is its loss of wisdom. This loss, which has persisted for centuries, has far-reaching implications, affecting the present reality and the future trajectory of the Ummah. The absence of wisdom has left the Ummah vulnerable to external influences, fragmented in its unity, and deficient in addressing its challenges with the clarity and resolve that once defined it.

Every civilization or community derives its wisdom from specific sources that define its principles and way of life. For instance, Buddhists find their wisdom in the teachings of Buddha, Zoroastrians in the teachings of Zoroaster, Confucianists in the philosophy of Confucius, Jews in the Torah, Talmud, and Mishnah, and Christians in the Gospel. These sources have shaped the moral, cultural, and intellectual identities of their respective communities. When it comes to the Islamic Ummah, its sources of wisdom are unique in their comprehensiveness and universal relevance. The Qur'an, the Sunnah, and the intellectual legacy derived from these divine texts are unparalleled in their depth and scope, addressing not only spiritual matters but also social, political, and ethical dimensions of human life. They offer solutions that transcend time and place, providing the Ummah with the tools to navigate the complexities of existence while remaining steadfast in its principles.

The Islamic Ummah reached the zenith of its power and influence when it lived by the principles drawn from its Book and Sunnah. These divine sources provided a framework for justice, moral excellence, and innovation, allowing the Ummah to lead the world in various domains of knowledge and practice. The strength of the Ummah lay in its ability to harmonize divine guidance with intellectual inquiry, fostering a civilization that was both deeply spiritual and profoundly rational. However, over time, the Ummah gradually turned away from its sources of wisdom, shifting its focus to the materialistic and often superficial ideologies of the West. This marked a turning point in its history, leading to a painful decline. By abandoning its own intellectual and spiritual heritage, the Ummah not only lost its unique identity but also its self-reliance. Today, it stands, despite its rich history and profound legacy, like a beggar seeking scraps of wisdom at the doors of the West, which itself is grappling with existential crises and moral decay.

This dependency is a stark and painful contrast to the era when the Islamic Ummah served as the guiding light for humanity, offering solutions rooted in divine wisdom and human reason. The cultural and intellectual achievements of the past seem like a distant memory as the Ummah struggles to find its footing in a rapidly changing world. The path forward is both challenging and critical. It requires a conscious return to the foundational sources of wisdom—the Qur'an and Sunnah—a renewed appreciation of the intellectual heritage derived from them, and a collective effort to embody the values and principles that once defined the Ummah. This revival must be accompanied by a deep sense of self-awareness and accountability, as well as a commitment to unity and cooperation among its members.

Only through such a revival can the Islamic Ummah reclaim its role as a leader in guiding humanity toward justice, righteousness, and ultimate truth. The journey to restore this wisdom is not merely an intellectual task; it is a moral imperative, one that demands unity, sincerity, and a steadfast commitment to the principles that once made the Ummah a model of excellence for the entire world. The restoration of wisdom is not about nostalgia for the past but about building a future that is deeply rooted in the timeless values of Islam. It is about empowering the Ummah to address modern challenges with confidence and clarity, drawing from the richness of its heritage to illuminate the path forward. In this lies the hope for the revival of the Ummah and the restoration of its rightful place as a source of guidance and inspiration for all of humanity.